النبي صلى الله عليه وسلم ابطات حتى ساء ظني واشتقت اليك قال
اني كنت اشوق ولكني عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست
احتبست وانزل الله هذه الاية والسورة والضحى والتنزيل
على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق كقوله
فلست لانسي ولكن لملاك تنزل من جو السماء يصوب
لانه مطاوع نزل وتنزل يكون بمعنى انزل وبمعنى التدرج واللائق
بهذا الموضع النزول على مهل والمراد ان نزولنا في الاحايين وقتا
غب وقت ليس الا بامر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمة وله ما قدامنا
وما خلفنا من الجهات والاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل
من جهة الى جهة ومكان الى مكان الا بامر المليك ومشيئته
وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد
من الاحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فانى لنا ان نتقلب
في ملكوته الا اذا راى ذلك مصلحة وحكمة واطلق لنا الاذن فيه وقيل
ما سلف من امر الدنيا وما يستقبل من امر الاخرة **وما
بين ذلك** ما بين النفختين وهو اربعون سنة وقيل ما مضى
من اعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها وقيل ما قبل وجودنا
وما بعد فنائنا وقيل الارض التي بين ايدينا اذا نزلنا والسماء
التي وراءنا وما بين السماء والارض والمعنى انه المحيط بكل شيء لا
تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على
فعل نحدثه الا صادرا عما توجبه حكمته ويامرنا ويأذن لنا فيه
وقيل معنى وما كان ربك نسيا وما كان تاركا لك كقوله
ما ودعك ربك وما قلى اي وما كان امتناع النزول الا
لامتناع الامر به ولما احتباس الوحي فلم يكن عن ترك الله لك

وتوديعه اياك ولكن لتوقيفه على المصلحة وقيل هي حكاية
قول المتقين حين يدخلون الجنة اي وما نتنزل الجنة الا باذن
من الله علينا بثواب اعمالنا وامرنا بدخولنا وهو المالك لرقاب
الامور كلها السالفة المترقبة والحاضرة اللاطف في اعمال
الخير والموفق لها والمجازي عليها ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم
وما كان ربك نسيا لاعمال العاملين غافلا عما يجب ان يثابوا
عليه وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذي ملك السماء
والارض وما بينهما ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فحين عرفته على هذه الصفة فاقبل على العمل واعبده يثبك
كما اثاب عبيده من المتقين وقرأ الاعرج وما يتنزل بالياء على
الحكاية عن جبريل والضمير للوحي وعن ابن مسعود الا بقول
ربك يحب ان يكون الخلاف في النسي مثله في النهي **رب
السماوات والارض** بدل من ربك ويجوز ان يكون مبتدأ
خبر محذوف اي هو رب السماوات والارض فاعبده كقوله
وقائلة خولان فانكح فتاتهم
وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون وما كان ربك نسيا من
كلام المتقين وما بعده من كلام رب العزة فان قلت
هلا عدي اصطبر بعلى التي هي صلته كقوله واصطبر عليها
قلت لان العبادة جعلت بمنزلة القرن في
قولك للمحارب اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك
من شداته اريد ان العبادة تورد عليك شدائد ومشاق
فاثبت لها ولا تهن ولا يضيق صدرك عن القاء عداتك من اهل
الكتاب اليك الاغاليط وعن احتباس الوحي عليك

Copyright © King Saud University